ابن الهائم المصرى المقدسى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

كنت فى القدس مع بعض الاخوان فى زيارة المعرض العربى الثانى ، وبينما نحن على مقربة من مقبرة مأمن الله سمعت أحدهم يقول : ان هذه المقبرة تضم عدداً كبيراً من فحول العلماء ، وكبار الفقهاء ورجال الدين ، ممن ظهروا فى أيام الحروب الصليبية وقبلها . وقد سرد بعضهم أسماء بعض هؤلاء العلماء فلم يلفت نظرى إلا اسم ابن الهائم ، إذ تذكرت ان هذا الاسم مرّ بى أثناء مطالعتى لبعض الكتب الانكليزية التى تبحث فى تاريخ الرياضيات ، وأصبح لدى رغبة شديدة فى الكتابة عنه . رجعت الى مكتبتى لأبحث عنه فوجدت ان ابن الهائم من الذين لم يعطوا حقهم من البحث والاستقصاء ، وحياته لا تزال غامضة فى تاريخ المدنية الاسلامية ، وهى فى أشد الحاجة الى من يتعهد جلاءها ، ويقضى على غموضها . بحثت فى الكتب الصفراء وغير الصفراء ، قديمها وحديثها ، من عربية وتركية وانكليزية فلم أجد إلا جملاً هنا وهناك متناثرة لا يفهم منها إلا تاريخ الولادة والوفاة ، وأشياء أخرى من الصعب جمعها وتكوين جملة تفى بالغرض وتشفى غلة الباحث المنقب . على كلّ ، وبعد بحث فى كتب متنوعة امكننا أن نحصل على ترجمة متواضعة لهذا العالم من ناحية مآثره فى العلوم الرياضية آملين أن نوفق فى المستقبل للكتابة عنه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

ولنرجع الى صاحب الترجمة فنقول ان اسمه هو : شرف الدين ابو العباس (احمد بن محمد عماد) ابن الهائم المصرى المقدسى ، وقد اكتسب نسبته الى مصر من ولادته فيها ، وكان ذلك فى المنتصف الثانى من القرن الرابع عشر للميلاد حوالى سنة ١٣٥٢م — ٧٥٣ هـ أو ٧٥٦ هـ ، وعرف بالمقدسى لاشتغاله فى القدس ووفاته فيها . وكانت الوفاة فى أوائل القرن الخامس عشر للميلاد حوالى سنة ١٤١٢م — ٨١٥ هـ . وقد وجدت ثلاثة تواريخ وفاة لصاحب الترجمة فى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، ففى ص ٤١٨ من الجزء الأول يقول ان ابن الهائم توفى فى سنة ٩٨٧ هـ ، وفى الجزء الثانى فى ص ٣٦٢ نجد ان الوفاة كانت فى سنة ٨٨٧ هـ ، وفى ص ٤١٧ من الجزء نفسه نجد ان تاريخ الوفاة كان فى ٨١٥ هـ . بينما المصادر الافرنجية ككتاب تاريخ الرياضيات لسمث ، والتركية ككتاب آثار باقية ، وبعض العربية ككتاب الأنس الجليل كل هذه تقول وتتفق على ان الوفاة حصلت سنة ٨١٥ هـ — وهذا التاريخ (على ما أرجح) هو الصحيح . وقد يكون الاختلاف فى الوفاة الموجود فى كشف الظنون ناتجاً إما عن خلط فى الأسماء أو عن أغلاط مطبعية . والله أعلم .

وابن الهائم كما قلنا من الذين لم يعطهم التاريخ بعد حقهم من البحث والتنقيب ، وقد يكون فى كتاب الأنس الجليل عن حياته ما لا نجده فى غيره من الكتب . ومن الكتاب المذكور يفهم ان ابن الهائم اشتغل فى القاهرة ، وانه لما ولى القمني تدريس الصلاحية أحضره الى القدس ، واستنابه فى التدريس ، وأصبح من شيوخ القادسة . واستمر فى وظيفته التدريسية الى أن جاء الشيخ شمس الدين الهروى من هراة وكان حنفياً فرأى هذه الوظيفة فسعى اليها ، واستطاع أن يأخذها من ابن الهائم . ولكن هذا لم يرق للأخير فسعى جهده لاستردادها ، واستطاع أن يجعل ولاة الأمور يقسمون هذه الوظيفة بينهما . ونشأ لابن الهائم ولد نجيب اسمه محب الدين ، كان نادرة دهره ، ونابغة زمانه ، ولكن المنية عاجلته فلم يعش طويلاً ومات صغيراً سنة ٨٠٠ هـ . ومحاسن ابن الهائم كثيرة أهمها تمسكه الشديد بالدين ، وكان دائماً

الحياة العام ، قطب التقدم والرقى الذى تسير نحوه جميع الأحياء عامدة ، لا تلفّ ولا تدور إلا مرغمة .

ومن صفات الايمان أيضاً أنه لا يحتقر الأحلام ، لأنها عنده أساس الحقائق وعدة الحياة . لهذا فهو رفيق جد الرفق بالصغار وما يحلمون ، مؤمن جد الايمان بما يكمن فيهم من قوى غير محدودة ، واستعداد غير مُستغلّ ، واندفاع غير مكبوت ، وتقاء غير مرتق . وهو يقيم الدليل بعد الدليل على صدق متجهه بما أثبت التاريخ والحوادث من أن أحلام الطفولة وعبث الصبى كانت فى غالبية العظماء حقائق الرجولة وعدتها الى الحياة . ؟

شرق الأردن أديب عباسى

لا يترك فرصة دون وعظ أو ارشاد ، فتراه فى أكثر الأوقات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وصار له مقام عند العامة وكان لكلامه وقع فى القلوب ، وتأثير على النفوس .

« وتوفى ابن الهائم فى القدس الشريف فى شهر رجب سنة ٨١٥ هـ ودفن فى مقبرة مأمن الله وقبره مشهور »[1] وقد ذهبت بنفسى الى القدس لأرى القبر فلم أتمكن من العثور عليه بسبب أعمال الحفر التى قامت مؤخراً فى المقبرة ، واتصلت بالعارفين فقالوا ان قبر ابن الهائم كان يقع فى الجهة الغربية على بعد بضعة أمتار من البركة وكان القبر مبنياً على شكل غطاء التابوت .

وابن الهائم من الذين درسوا على أبى الحسن على بن عبد الصمد الجلابرى المالكى ومن الذين ألفوا فى الفرائض والحساب والجبر وله فى ذلك كتب ورسائل قيمة منها :

كتاب شرح الأرجوزة لابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ، ألفه فى مكة سنة ٧٨٩ هـ[2] . وهذه الأرجوزة لدينا وقد أتتنا من الوطن العامل الأديب السيد عبدالله بن كنون من أعيان طنجة بالمغرب ، وسيأتى الكلام عنها عند البحث فى ابن الياسمين . وله أيضاً رسالة اللمع فى الحساب ، ولدينا نسخة منها وقد نسخناها عن مخطوطة قديمة موجودة فى المكتبة الخالدية بالقدس . ويقول المؤلف (ابن الهائم) فى أولها : « . . وبعد فهذه لمع يسيرة من علم الحساب نافعة ان شاء الله تعالى . . » وهذه الرسالة تتكون من مقدمة وثلاثة أبواب يبحث الباب الأول فى ضرب الصحيح فى الصحيح ويتكون من أربعة فصول ، الفصل الرابع منه طريف جداً ويحتوى على كثير من الملح الرياضية فى الاختصار وفى ضرب أعداد خاصة فى أعداد أخرى بدون اجراء عملية الضرب ، ولا بأس من اعطاء مثال (من النسخة) على ذلك ، ففى الفصل المذكور يقول المؤلف « . . وللضرب وجوه كثيرة وملح اختصارية منها : . . الى أن يقول . . ومنها أن كل عدد يضرب فى خمسة عشر أو مائة وخمسين أو فى ألف وخمسمائة فيزاد عليه مثل نصفه ويبسط المجتمع (أى يضرب حاصل الجمع) فى الاول عشرات وفى الثانى مئات وفى الثالث ألوفاً ، فلو قيل اضرب أربعة وعشرين فى خمسة عشر فزد على الأربعة والعشرين مثل نصفها وابسط المجتمع وهو ستة وثلاثون عشرات فالجواب ثلاثمائة وستون ، ولو قيل اضربها فى مائة وخمسين فابسط الستة والثلاثين مئات ، فالجواب ثلاثة آلاف وستمائة ... » ويبحث الباب الثانى فى القسمة ويتكون من مقدمة وفصل ، والمقدمة تبحث فى قسمة الكثير على القليل والفصل فى قسمة القليل على الكثير ، وأما الباب الثالث فيبحث فى الكسور ويتكون من مقدمة وأربعة فصول . ولهذه الرسالة شرح لمحمد بن محمد بن احمد سبط الماردينى [1] وله أيضاً كتاب « حاوى » فى الحساب وكتاب المونة فى الحساب الهوائى [2] ، ويتكون من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة ، وله مختصر اسمه الوسيلة وقد رأيته أيضاً على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة . وقد قال الماردينى فى آخر شرح اللمع « ومن أراد الزيادة فعليه بالوسيلة لأنها من أحسن المصنفات فى هذا الفن . . » وعليها أيضاً حاشية لمحمد بن أبى بكر الأزهرى ، ولها (أى الوسيلة) شرح للماردينى يسمى ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب [3] . ولابن الهائم كتاب مرشد الطالب الى أسنى المطالب ويبحث فى الحساب ، ويتكون من مقدمة وخاتمة [4] . وقد عمل له مختصراً سماه كتاب النزهة . ومن مؤلفاته كتاب غاية السؤال فى الاقرار فى الدين المجهول ، ويحتوى على أمثلة لحلول مسائل مختلفة فى الحساب ، والجبر ، وكتاب المقنع وهو قصيدة تتكون من ٥٢ بيتاً من الشعر فى الجبر ، وقد شرحها فى رسالة خاصة ، وله رسالة التحفة القدسية ، وهى منظومة أيضاً فى حساب الفرائض [5] . وكتاب المونة فى الحساب وقد شرحه الماردينى واختصره ابن الهائم برسالة سماها استان المفتاح [6] .

نابلس — قدرى حافظ طوقان

(١) مجير الدين الحنبلى — كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .
(٢) كتاب كشف الظنون ج ١ ص ٨٢

(١) كشف الظنون — ج ٢ ص ٣٦٢ .
(٢) » » — ج ٢ ص ٤٦٨ .
(٣) » » — ج ٢ ص ٤٣٤ — ٤٦٨
(٤) » » — ج ٢ ص ٤١٧ .
(٥) صالح زكى — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .
(٦) » » — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .